الفصل الرابع

الأبعاد الاجتماعية لتقنيات مجتمع المعلومات

(الإنترنت نموذجًا)

مقدمة

إذا كان الحديث عن استقرار الإنسان وبداية حضارته كان مع الثورة الزراعية، فإن الحديث عن تقدم الإنسان ورفاهيته وتحقيق سيطرته شبه الناجزة عن الطبيعية كان من الثورة الصناعية، والتي معها دخل الإنسان مرحلة جديدة تمامًا من التطور الحضاري وأصبحت هناك شبه سيطرة واستغلال كامل من قبل الإنسان للكثير من مكومات البيئة الطبيعية التي تخيط به، وشكلت الثورة الصناعية قاطرة التقدم التي قادت الإنسان إلى ثورات مماثلة في مجالات عديدة، فالثورة الصناعية ما كان لها أن تقوم إلا مع ثورات متوازية في العلوم المختلفة والطب وغيرها من جوانب حياة الإنسان، كل تلك الثورات مهدت له الطريق إلى نهضة حضارية تركز على التصنيع في المقام الأول.

obeikandl.com

وإذا كانت الثورة الصناعية هي العلاقة الفاصلة في حياة أو تطور الجنس البشري في القرون الممتدة من السادس عشر حتى بدايات القرن التاسع عشر، فإن ثمة مماثلة تعد هي الأخرى، علامة فاصلة في تطور الجنس البشري، وتشكل هي الأخرى نقطة واضحة في تطور الحضارة الإنسانية بوجه عام، إلا وهي الثورة الاتصالية، أو ثورة الاتصالات الإنسانية.

لقد عرف البشر الاتصال فيما بنيهم منذ وقت طويل، يرجع إلى بدايات تشكل الحضارات الأولى في تاريخ الإنسانية، ومع تطور بني البشر، وتطورت معهم وسائل وأساليب الاتصال وكانت الاتصالات شأنها كل شيء في حياة الإنسان، في بداياتها بسيطة، ثم ما لبثت أن تطورت، وكانت تطورها مذهل وسريع، وظهرت الكثير من التقنيات التي تشكل علامات بارزة في تطور الثورة الاتصالات في حياة الإنسان فالثورة في مجالات الاتصالات، فاقت في تطورها كافة جوانب الإنسان الأخرى، سواء في المجالات الزراعية أو الصناعية، أو غيرها من باقي جوانب الحياة الإنسانية.

وقد تعاظمت الطفرات والتطورات المتسارعة في مجال الاتصالات في السنوات الأخيرة، خاصة مع نهاية القرن العشرين، فمع بداية إطلاق الإنسان لأول قمر صناعي، يستطيع نقل وحمل الآلاف بل الملايين من البيانات، عبر مختلف أنحاء العالم، كان ذلك إشارة بدء مرحلة جديدة في ثورة الاتصالات الإنسانية، مرحلة غير مسبوقة في حياة بني البشر، تنبئ بأن الاتصالات سوف تشهد في المستقبل تطورات مذهلة ما كانت تخطر على بال الإنسان في أي مرحلة من مراحل حياته السابقة.

ومن الأشياء الهامة التي تميز ثورة الاتصالات الحديثة، تداخل الكثير من المكونات في تشكيلها أو صياغتها، فالاتصالات الآن، أصبحت مرتبطة ومتطورة بالنظر إلى التطورات في مجالات أخرى، لعل من أهلها تكنولوجيا الحاسب الآلي، وهو الأمر الذي يدفع إلى القول بأن ثورة الاتصالات الحديثة، تداخل الكثير من

المكونات في تشكيلها أو صياغتها أو صناعتها، فالاتصالات الآن، أصبحت مرتبطة ومتطورة بالنظر إلى التطورات في مجالات أخرى، لعل من أهمها تكنولوجيا الحاسب الآلي، وهو الأمر الذي يدفع إلى القول بأن ثورة الاتصالات الحديثة التي يشهده العالم اليوم، هي ثمرة جهود الإنسان في مجالات عملية وبحثية متنوعة ومختلفة، تمتد من الاقتصاد إلى الفيزياء والكيمياء والرياضيات بل والعلوم الإنسانية، فما يجري مناقشته الآن فيما يتعلق بقضايا العولمة وتأثيرات ثورة الاتصالات الحديثة على الإنسان، يتم في أروقة العلوم الإنسانية.

ومع تلك الطفرات الهائلة التي حققتها الثورة في مجالات الاتصالات في السنوات الأخيرة، بدأت التساؤلات تثار حول تلك الثورة، تساؤلات كثيرة جدًا لا يمكن أن يتم حصرها في ورقة بحثية واحدة، وهي تساؤلات تؤكد على تنوع القضايا والمشكلات التي تثيرها تلك الثورة.

ولعل واحدة من أهم القضايا التي تشكل بعدًا أساسيًا في الثورة الاتصالاتية، قضية المعلوماتية، وعبارة «القرية الكونية الواحدة » التي صاغها الأمريكي مارشال ماكلوهان، تعتبر حقيقة عن جوهر هذه القضية، لقد أصبح العالم في ظل الاتصال الفعّال المشكل من قبل الثورة الاتصالاتية أشبه بالقرية الكونية الواحدة، وهي قرية معلوماتية في المقام الأول، تنساب من خلالها المعلومات عبر تقنيات الاتصالات المختلفة، لتشكل في النهاية فضاء كوني من المعلومات، تشغل هذا الفضاء مواقع معلوماتية مختلفة، كل منها له مواصفاته وأهدافه، وبعبر عن طموحات ورغبات يسعى أصحابها إلى تحقيقها عبر حدود هذه القرية.

وفي هذه القرية المعلوماتية، ثمة مواقع مختلفة كما سبق الإشارة، بمعنى أن موقع ساكني هذه القرية في المعلوماتية، ليست متشابهة أو موحدة، فهناك من يمتلك المعلومات وينتجها، وهناك من يستهلك المعلومات، وما بين الإنتاج والاستهلاك، هناك موقع وسيط وهو التقنيات التي من خلالها تنساب هذه الحركة المعلوماتية.

وتعد تقينات المعلومات أحد إنجازات الثورة الاتصالاتية، كما تعد أحد القنوات التي من خلالها يتم تفعيل هذه الثورة في نفس الوقت، فإذا كانت الثورة الاتصالاتية حولت العالم إلى ما يشبه القرية الكونية المعلوماتية الواحدة، فإن ذلك تم من خلال قنوات معينة، تلك القنوات هي المسؤولة عن حركة المعلومات وانتقالها عبر أرجاء القرية الكونية، وهذه القنوات هي التقنيات التي صنعتها الثورة نفسها، فكأن التقنيات المعلوماتية، هي سبب ونتيجة للثورة المعلوماتية في نفس الوقت.

في ضوء ذلك تأتي الدراسة الراهنة، لتبحث في قضية الأبعاد الاجتماعية لتقنيات مجتمع المعلومات، والسؤال هنا: من أي تقنية من تقنيات مجتمع المعلومات سوف يقوم الباحث بدراسته؟

سوف يركز الباحث هذه الدراسة على الإنترنت، بوصفه أكثر وأهم تقنيات مجتمع المعلومات، فالإنترنت هو بحق الأداة المسئولة عن تحول مفهوم القرية الكونية، من مجرد مفهوم نظري بحت إلى مفهوم إمبريقي له تجسداته الواقعية، وعلى ذلك فإن الباحث سوف يرتكز على الإنترنت بشكل أساسي.

أولا: إشكالية الدراسة

موضوع البحث

ما إن تطرح قضية المعلومات والاتصال على طاولة البحث والمناقشة، حتى تثار حولها المئات بل الآلاف من الرؤية ووجهات النظر المختلفة والمتباينة، تجاه ما تطرحه هذه القضية من تساؤلات تصل لحد المشكلات في أحيان كثيرة.

من بين هذه التساؤلات المشكلة، تلك التي تتعلق بحركة سير المعلومات والاتصالات بوجه عام، وهي المشكلة التي تعكس علاقة الدول الغنية المتقدمة بالدول الفقيرة والنامية في مجال المعلومات والاتصال، وتلك مشكلة قديمة، يرجع تاريخها إلى بداية القرن العشرين تقريبًا، وهو ما عبر عنه في أدبيات العلوم الاجتماعية

بحوار الشمال مع الجنوب، فمن المعروف أن البلدان المتقدمة هي المتحكم الأساسي في عملية صنع المعلومات، من خلال امتلاكها للتقنيات والقدرات المتقدمة في تطوير أبحاث الاتصالات والمعلومات على وجه العموم، ومن ثم فإن حركة المعلومات دائمًا تتخذ مسار من الشمال إلى الجنوب، وهي حركة تعكس العلاقة غير المتكافئة في مجال المعلومات والاتصال بوجه عام(*).

وإذا كانت حركة المعلومات تمثل القضية الأساسية في الاهتمام بالثورة الاتصالاتية، فإن تقنيات المعلومات تشكل القضية الأهم التي خرجت من رحم الإشكالية السابقة، فإذا كانت حركة المعلومات، تثير تساؤلات من قبيل: موقع البلاد الفقيرة والنامية والإشكاليات التي لا تقل أهمية عما سبق التنويه عنه.

وتأتي هذه الدراسة لتبحث في عدد من الموضوع المرتبطة بقضية تقنية المعلومات في جانبها الاجتماعي، وعلى الأخص فيما يتعلق بالجوانب الاجتماعية المرتبطة باستخدام الإنترنت.

(*) حول حركة المعلومات وعلاقة البلدان النامية بالمتقدمة في هذا الشأن يمكنم الرجوع الي:

- نبيل الديجاني، البعد الثقافي والاتصالي في ضوء النظام العالمي الجديد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1994.
- بنجامين باربر، عالم ماك، المواجهة بين التأقلم والعولمة، ترجمة أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافية، القاهرة، 1997.
- هربرت أشيلل، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبدالسلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، العدد 106، أكتوبر 1986.
- عواطف عبدالرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، العدد 78، يونيو 1987.
- مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 94، أكتوبر 1985.

وسوف يركز الباحث في دراسته هذه على الجوانب الاجتماعية التي تثيرها استخدام الإنترنت، على اعتبار أنه الأكثر انتشارًا واستخدامًا في الوقت الراهن، وهو في نفس الوقت يعد مصدرًا أساسيًا للمعلومات لفئة متنوعة من المستخدمين، ما بين طلاب بحث علمي وأشخاص عاديين ورجال أعمال واقتصاد، وما إلى غير ذلك من الفئات المتنوعة التي تستخدم الشبكة الدولية للمعلومات.

الأهـداف

يتمثل الهدف الرئيسي في هذا البحث في رصد الأبعاد الاجتماعية المرتبطة باستخدام الإنترنت.

وفي إطار هذا الهدف يسعى الباحث إلى تحقيق بعض الأهداف الفرعية من دراسته هذه على النحو التالي:

أ - إلقاء الضوء على أهم المكونات الفاعلية في الثورة الاتصالية الحديثة (مجتمع المعلومات) وموقع البلدان العربية منها.

ب- التعرف على أهم آليات مجتمع المعلومات وتقنيته الأساسية وهي الإنترنت.

ج- رصد أهم الخدمات التي تقدمها تقنيات المعلومات الحديثة.

د- التعرف على مدى إمكانية الاستعانة بتقنية المعلومات في الدراسات الاجتماعية.

هـ- رصد العلاقة والتأثير الذي تمارسه تقنيات المعلومات على القيم الاجتماعية.

و- رصد أهم المحاذير التي تثيرها تقنيات المعلومات؟

تساؤلات البحث

1- ما هي حقيقة مجتمع المعلومات وما موقع البلدان العربية من هذا المجتمع؟

2- ما هو الإنترنت وما هي أهم المشكلات والمخاطر التي تثار حول استخدامه كتقنية هامة للمعلومات؟

3- ما أهم الخدمات التي يمكن أن توفرها تقنيات المعلومات الحديثة؟

4- إلى أي مدى يمكن الاستفادة من تقنيات المعلومات في مجال البحث العلمي الاجتماعي؟
5- ما تأثير تقنيات المعلومات الحديثة على القيم الاجتماعية؟
6- ما هي أهم المحاذير التي تثيرها قضية استخدام تقنيات المعلومات الحديثة؟

ثانيًا: مجتمع المعلومات وموقع البلاد منه

جاء مصطلح مجتمع المعلومات، ليعبر عن حالة هذا المجتمع الذي يقوم في الأساس على إنتاج المعلومات وتداولها بالاعتماد على التقدم الهائل الذي حققته أجهزة الاتصال فضلاً عن الحاسب الآلي «لقد أدت الأجيال المتعاقبة من هذا الحاسب إلى إحداث ثورة فكرية كبرى في إنتاج وتوزيع واستهلاك المعرف الإنسانية، فإذا أضفنا إلى ذلك الطفرة الكبرى في مجال تكنولوجيا الاتصال خاصة في مجال الأقمار الصناعية واستخداماتها الواسعة وخصوصًا في مجال البث التليفزيوني ... لأدركنا أننا بصدد تشكل عالم جديد غير مسبوق، تصبح هذه العبارة الشهيرة والتي مفادها أن العالم أصبح قرية صغيرة تعجز كثيرًا عن وصف التغيرات التي يتعمق مجراها كل يوم»[1].

هذا في الوقت الذي ترى فيه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن مجتمع المعلومات «شكل من أشكال التنمية الاجتماعية والاقتصادية وذلك من خلال امتلاك وتخزين وتشغيل وتقييم وبث ونشر المعلومات بما يؤدي إلى توليد أنماط جديدة ومتطورة من المعرفة يمكن استخدامها لبناء السياسات الجديدة واتخاذ وتنفيذ القرارات وتقييم نتائجها وإشباع احتياجات الأفراد والمؤسسات، وبذلك يلعب

(1) السيد يسين، موقع الوطن العربي في الموجة الثالثة، مجلة الطريق، العدد الثاني، مارس – أبريل 1997، ص 21-21.

مجتمع المعلومات دورًا حيويًا في النشاط الاقتصادي وفي توليد الثورة وتحقيق نوعية حياة أفضل للمواطنين ويشهد هذا المجتمع عديد من التغيرات المتلاحقة نتيجة التطبيق واسع النطاق لمنتجات تكنولوجيا المعلومات الجديدة»[1].

أما عن السمات التي يتميز بها مجتمع المعلومات فهي على النحو:

- سيطرة المعلومات على مختلف مجالات الحياة وبروز صناعة المعلومات باعتبارها الركن الأساسي في بناء الاقتصاد الوطني.
- تزايد جرعة المعلومات في تكوين السلع والخدمات، بحيث أصبحت وبشكل مضطرد النسبة الغالبة في تكلفة الإنتاج.
- الاستثمار المكثف لنتائج الفكر الإنساني المتمثل في البحوث والدراسات والتحليلات الفكرية والمبتكرات والتطورات المستحدثة في مختلف آليات معالجة متطلبات الحياة.
- الاستثمار المكثف لمقتنيات الحاسب الآلي والاتصالات والإلكترونيات والمزج بينهما لتحقيق أعلى درجة متاحة من التواصل والآلية أو العمل في الوقت الحقيقي.
- الارتفاع المتزايد في نسبة المشتغلين بصناعات المعرفة إلى إجمالي الموارد البشرية المتاحة للعمل في البلدان المتقدمة وبداية ظهور نفس الظاهرة في البلدان العالم المختلفة[2].

---

(1) المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم، الاستراتيجية العربية للمعلوماتية «المسودة الأولى»، القاهرة، نوفمبر 2002، ص 9.

(2) علي السلمي، الإدارة العامة في العالم العربي في ظل ثورة المعلومات، الكلمة، دورية فصلية تصدر عن منتدى للدراسات والأبحاث، بيروت، العدد السادس عشر، السنة الرابعة، 1997، ص 32.

obeikandi.com

أما عن البعد التاريخي لمجتمع المعلومات، فيؤكد أحد الباحثين على أن مجتمع المعلومات قد أتى بعد مراحل مر بها المجتمع الإنساني، فيؤكد أحد الباحثين على أن مجتمع المعلومات قد أتى بعد مراحل مر بها المجتمع الإنساني، وتميزت كل مرحلة بنوع من أنواع التكنولوجيا يتفق معها، شهدت الإنسانية من قبل تكنولوجيا المعلومات، وأن سمات مجتمع المعلومات إنما تستمد في الأساس من سمات تكنولوجيا المعلومات ذاتها والتي يمكن إجمالها في ثلاث:

أولا: أن المعلومات غير قابلة للاستهلاك أو التحول أو التفتت، لأنها تراكمية بحسب التعريف، وأكثر الوسائل فاعلية لتجميعها وتوزيعها تقوم على أساس المشاركة في عملية التجميع، الاستخدام العام والمشترك لها بواسطة المواطنين.

ثانيًا: إن قيمة المعلومات هي استبعاد عدم التأكد، وتنمية قدرة الإنسان على اختبار أكثر القرارات فاعلية.

ثالثاً: إن سر الواقع الاجتماعي العميق لتكنولوجيا المعلومات أنها تقوم على أساس التركيز على العمل الذهني (أو ما يطلق عليه أئمة الذكاء) وتعميق العمل الذهني [1].

وهنا لا يختلف يسين كثيرًا عن الطرق السابق والناظر إلى مجتمع المعلومات بوصفه مرحلة من مراحل تطور المجتمع الإنساني، نقطة الارتكاز الأساسية فيه هو الاعتماد على صناعة المعلومات.

وثمة أمرين أساسيين يجب أن يوضعا في عين الاعتبار قبل إطلاق التعميمات حول طبيعية مجتمع المعلومات.

---

(1) السيد يسين، التغيرات العالمية وحوار الحضارات في عالم متغير، كراسات إستراتيجية، رقم (14) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، مارس 1993، ص 14.

الأمر الأول: أن هذا المجتمع المعتمد أساسًا على المعلومة كسلعة، يعد امتدادًا لما سبق مجتمعات إنسانية، مارست فيها قوى بعينها التحكم والسيطرة والريادة في كافة الأشياء وكانت لها البد الطولي في تقرير الأمور، ففي الثورة الزراعية ثم الثورة الصناعية، مارست دول بعينها التفوق والقوة على غيرها من الدول والبلدان المستضعفة، ومن هنا تشكلت على الساحة العالمية ما يعرف بالعوالم الثلاثة الأول والثاني والثالث، وهو تقسيم وإن كان يغلب عليه الطابع السياسي، إلا أنه في الحقيقة يعكس تقسيمات القوة في العالم في ذلك الوقت. من هنا نستطيع أن نقول إن مجتمع المعلومات يشهد هو الآخر ذلك التقسيم التقليدي الذي عرفه العالم على طوال تاريخه، فقط هناك تعديل بسيط بالنظر إلى طبيعة المحك الذي بناء عليه يتم التصنيف، ومن ثم نجد أنه في ظل سطوة المعلومات ومركزيتها في التقسيم العالمي الجديد، نستطيع أن نفرق بين دول تنتج وتصنع المعلومات ودول تستهلك أو تتلقى تلك المعلومة، ولنا أن نتخيل حجم السيطرة والقوة التي تمارسها الدول التي تتحكم بالسلعة الأساسية في مجتمع المعلومات على غيرها من البلدان التي لا تؤهلها إمكانياتها الدخول في هذا السباق.

أما **الأمر الثاني**: فيتعلق بطبيعة المعلومات في حد ذاتها باعتبارها سلعة هذا المجتمع الكوني أو القرية الكونية على حد تعبير ماكلوهان، فهي سلعة غير تقليدية ومن هنا فإن الاتجار فيها والتعامل معها أيضًا غير تقليدي، وهي وإن كانت تستلزم استثمارات ضخمة في مجال الصناعات الداعمة لها (مثل البرمجيات وتطور تقنيات الاتصالات الناقلة لها) إلا أنها مع ذلك تعد تحولاً في طبيعة النشاط الرأسمالي الكوني، يعبر بحق عن التحولات التي لحقت بهذا النظام في العقود الأخيرة الماضية.

فعالمية هذا النظام على طوال العقود الطويلة الماضية والممتدة من بداية المرحلة التجارية حتى مرحلة ما بعد الاستعمار الكونيالي، كانت تتحقق من خلال عالمية التجارية التقليدية للسلع والمنتجات الصناعية التي تنتج في البلدان الأم، لتسوق وتباع في مختلف أسواق العالم، أما وفي ظل تلك التحولات الغير مسبوقة والتي

أفرزت مفهوم القرية الكونية ومجتمع المعلومات العالمي، فإن عالمية هذا النظام تتحقق من خلال عالمية تجارة المعلومات، فكل شيء في هذا النظام بات أثير ومدار من قبل المعلومات، والتي تتدفق من كل مكان في العالم لتغذي الأجهزة الفائقة السرعة ليتم في النهاية حساب كل شيء بدقة، بعدها يكون القرار أما بالبيع أو الشراء أو بشن حرب أو بالحصار ...الخ لقد باتت المعلومات بحق تمثل جوهر كافة التعاملات العالمية، وتلعب دورًا أساسيًا في رسم خريطة العالم، وعلى كافة المستويات سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا.

أما فيما يتعلق بمحاولة تحديد موقع العالم العربي من مجتمع المعلوماتية، فإن ذلك يتطلب من التعرض لقضيتين أساسيتين من خلالهما يمكن التعرف على موقع البلدان العربية من مجتمع المعلومات العالمي، **القضية الأولى**: فتتعلق بموقف الحكومات من وسائل الاتصال والمعلومات، وهي قضية تتعلق بالحريات في المقام الأول، ويمكن طرحها على هيئة تساؤل مؤداه: كيف تتعامل البلدان العربية مع قضية حرية المعلومات وما المدى التي تتيحه لشعوبها في تلقي المعلومات والتعامل معها وامتلاكها، وهي قضية تندرج تحت ما يمكن أن نطلق عليه حق الإنسان في الإعلام والاتصال، وهو من الحقوق الهامة التي أرسلت المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، أما **القضية الثانية**: فتتعلق بموقع البلدان العربية في صناعة المجتمع العالمي؟ وما هي التحديات التي تواجه المنظمة العربية في هذا المجال؟ ما طبيعة تلك التحديات وما مستقبل المنظمة العربية في ظل النظام الإعلامي المعلوماتي الجديد؟

وفيما يتعلق بالقضية الأولى «حرية المعلومات والإعلام الإتصال» يشير شريف اللبان إلى «أن معظم الدول العربية، تقوم الحكومات بالسيطرة على وسائل الاتصال والمعلومات، فهذه الحكومات لا ترغب في أن تتدفق إلى بلادها دون رقابة، لذا فإنها تقوم بالهيمنة والتحكم في وسال الإعلام المطبوعة والمذاعة أو تقوم بإحكام الرقابة الصارمة عليها، ولا توجد ثمة ضمانات مطلقًا لحرية الصحافة في الدول العربية. فالمملكة العربية السعودية مثلاً

وضعت حظرًا كاملاً على أطباق استقبال الأقمار الصناعية بحجة بما تحويه هذه الثقافات من عري وعنف»[1].

لقد أصبحت قضية تدفق المعلومات - خاصة فيما يتعلق بما تتيحه الإنترنت - قضية ملحة بالنسبة لقطاع كبير من البلدان العربية، خاصة وأن تلك القضية تزامنت مع قضية أخرى، تعد الوجه الثاني للمجتمع المعلوماتي، وهي قضية الفضائيات (أو ما بات يعرف بالسموات المفتوحة)، فما بين يوم وليلة وجدت معظم البلدان النامية ومن بينها البلاد العربية نفسها بين ما يمكن أن نسميه بالمطرقة والسندان في عالم المعلومات، فعلى أحد طرفي المعادلة الصعبة أصبحت سماوات تلك البلدان منفتحة قسريًا على عالم لا ينام من الإعلام، ينساب ليل نهار، عبر مئات بل آلاف من القنوات الفضائية التي تبث عبر التقنيات الاتصالاتية الحديثة التي وفرتها الثورة في مجال الاتصالات، والتي تعتمد بشكل أساسي على تقنيات الأقمار الصناعية، فأصبح في إمكان مواطني تلك البلدان تلقي المعلومة من مصادر متنوعة لبلاد متنوعة، فمن الأقمار الصناعية الأمريكية إلى الإنجليزية إلى الفرنسية والتركية وغيرها، أنه مرت القنوات والرسائل الإعلامية المتنوعة على رؤوس المواطنين من سكان البلاد النامية، ومن هنا جاءت الفرصة لإشباع الحاجة الملحة إلى المعلومة التي يفرض عليها سياج سميك من السرية والحظر من قبل حكومات تلك الشعوب.

وفيما يتعلق بموقع البلدان العربية من الصناعة المعلوماتية ذاتها، ومدى مشاركة هذه البلدان في صناعة المجتمع المعلوماتي للبلدان العربية يشير إلى أنه يعاني من أوجه القصور التي لا يمكنه معها إحراز أي تقدم في مساعيه التنموية، خاصة أن

---

(1) شريف درويش اللبان، شبكة الإنترنت في الوطن العرب بين التغيير وآليات الرقابة، ورقة بحثية مقدمة لندوة «الثقافة في عصر المعلومات»، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 15.

تحقيق التنمية في الوقت الراهن يعتمد بشكل كبير على قدرة المجتمع على استيعاب الأدوات التي تبتكرها تكنولوجيا المعلومات، أصبحت قدرة البلدان العربية على التعامل مع معطيات ومتغيرات الواقع، ومرهونة برصيدها في مجال صناعة المعلوماتية، ومن هنا كان التأكد من قبل الكثير من التقارير المعنية بالتنمية البشرية - كتقرير التنمية الإنسانية العربية السابق الإشارة إليه- على ضرورة الارتفاع بقدرة الإنسان العربي في التعامل مع المجتمع المعلوماتي، عن طريق إكسابه المعرفة التي تؤهله لذلك، واعتبار هذه العملية جزء لا غنى عنه في المساعي الهادفة نحو تحقيق ما يعرف بالتنمية الشاملة.

ثالثاً: الإنترنت ومجتمع المعلومات

تعد شبكة الإنترنت إحدى ثمرات الثورة الحديثة في مجال الاتصالات، فهي العمود الفقري لما يطلق عليه مجتمع المعلومات الدولي، فهي على حد تعبير البعض «عماد المجتمع المعلوماتي الجديدة ومعجزته التي يبشر بها حيث فتحت هذه الأداة الجديدة العالم على أبوابه ودكت كل التحصنات والأسوار، فخيمت بانتشارها السريع على العالم الأثيري لينصاع العالم لها ويستلم لجموها»[1].

وقد حظيت هذه الشبكة بسمات أو بتشبيهات كثيرة فهي تمثل «المأموت الشبكي الكوكبي، ذي الفضاء المعلوماتي المتناهي الضخامة الدائم الامتداد والانتشار»[2]. وتدلل تلك المسميات - على تنوعها - على الأهمية التي تمثلها الشبكة في إطار النظام المعلوماتي العالمي في الوقت الراهن.

---

(1) www.annabaa.org/nba50/almalomateya.htm

(2) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 476، ديسمبر 2001، ص 92.

لقد ظهرت هذه الشبكة أول ما ظهرت في أواخر الستينيات من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كانت البداية عسكرية تمامًا، فالهدف الأساسي من إنشاء الشبكة كان البحث عن آلية تربط القوات الأمريكية المتناثرة عبر أرجاء العالم الفسيح تمكنها من تحقيق اتصال فوري وفاعل في أي وقت من الأوقات، ثم تطورت شيء فشيء لتربط بين عدد من المراكز والمعاهد البحثية ثم الجامعات الأمريكية والأوروبية، ومن هنا تحولت الشبكة من المجال العسكري البحث إلى مجال الاستخدام المدني[1].

وحتى نهاية العقد الثامن من القرن العشرين كانت استخدامات الشبكة مقتصرة على التطبيقات الخاصة بالمجال الأكاديمي وخدمة أغراض ومشروعات البحث العلمي، ولكنها بدأت في منتصف العقد الأخير من القرن الماضي في الانتشار في مؤسسات وهيئات القطاع الحكومي ووحدات قطاع الأعمال داخل وخارج الولايات المتحدة الأمريكية، ثم اتجهت لكي تعم العالم كله، الأمر الذي ساعد على إمكانية الاستفادة منها في شتى المجالات في أي زمان ومكان في العالم.

وقد نمت شبكة الإنترنت بشكل مذهل بحث أنه «بات من المتوقع أن يصل حجم عشيرة الإنترنت إلى ثلاثة أربع مليارات مشترك عام 2004 لتكون هذه الشبكة بمثابة تحقيق فعلي لمفهوم القرية الكونية واثبات لمجتمع المعلوماتية وبلورة حقيقية لمفهوم العولمة»[2].

لقد أصبح امتلاك المعلومات في الوقت الراهن قوة، وهو أمر سبق وأشار إليه

---

(1) سامي العياشي، ثورة جديدة لعالم جديدة، المؤسسة العالمية للدراسات والبحث والنشر، بيروت، 2001، ص 259.

(2) Habel A. Jacob, Colonization and Information, Mac for published, N.Y, 2001, P. 142

هربرت شيللر منذ فترة مبكرة إلى حد ما وذلك حين تحدث عن المكانة التي سوف تحتلها المعلومات في المستقبل، وعن القوة التي سوف تمنحها تلك المعلومات لمن يمتلكها ويستحوذ عليها، وهو الأمر الذي يدفع الحكومات، خاصة الولايات المتحدة إلى نفاق المليارات وتكريس الجهود لخدمة صناعة المعلومات[1].

وإذا كان امتلاك المعلومة أصبح في الوقت الراهن يمثل قوة يعتد بها، فإن شبكة الإنترنت توفر مجالاً لامتلاك المعلومات، فهي تطلع مستخدميها على المعلومات أول بأول بل قد تسبق أحيانًا الوسائل الأخرى في نشر المعلومات، كما إنها تتيح المعلومات من مصادر متعددة ومتنوعة ومن جهات ذات توجهات مختلفة مما يساعد على مضاهات ومقارنة المعلومات وتقييمها وهي لا تجعل المعلومة حكرًا على أحد، فالكل قادر على الوصول إليها.[2]

وعلى الرغم من هذا التصور الذي يتخيل الإنترنت وكأنها العصا السحرية التي ستمكن الجميع – دون اختلاف – من الوصول إلى المعلومة وإمكانية تملكها، فإن السؤال التقليدي يظل فاعلاً للرد على مثل تلك التعميمات، هل يتساوى الجميع بالفعل في الموقع من المعلوماتية وعبر أحدى آلياتها الأساسية في الوقت الراهن؟ ... الإجابة هي «لا»، وهي الإجابة التي عبر عنها أحد الباحثين بقول: «على الرغم من أن الإنترنت يعد بالفعل أحد الوسائل والآليات الهامة التي تمكن بني البشر في الوقت الراهن من الحصول على المعلومات وامتلاكها إذا شاءوا، إلا أن ذلك لا يعني أن الجميع متساوون بالفعل حتى في الموقع من تلك الشبكة. وهنا يكون من الملائم أن نطرح بعض التساؤلات التي توضح هذا الموقف من مثل: من

(1) هربرت أ. شيللر، مرجع سابق، ص 42-57.

(2) فادي الأمين، الصراع حول المعلومات، حرب الألفية الجديدة، الدار الدولية للطباعة والنشر، بيروت، 2002، ص 198.

المتحكم الأساسي في عمل تلك الشبكة، ومن القادر على بث معلوماته عبرها، وأي نوع من تلك المعلومات يمكن للشخص العادي في البلدان الفقيرة من الحصول عليه؟ إن إجابة على تلك المعلومات يمكن للشخص العادي في البلدان الفقيرة من الحصول عليه؟ إن إجابة على تلك التساؤلات توضح إلى أي مدى يكون تصوير الإنترنت على إنها العصا السحرية ساذجًا بدرجة كبيرة ومنافي للواقع»[1].

إن أولئك المتحمسين للإنترنت والمروجين لخرافة العصا السحرية يتصورون، واهمين أن الإنترنت (واجهة العالم الجديد) واجهة المجتمع المعلوماتي، حيث تتحقق الديموقراطية القصوى الديموقراطية المعلومات تحت شعار المعلومات في كل مكان وكل وقت ولكل الناس ... ويضيف مناصرو الإنترنت أنه عن طريقها يمكن أن يعبر المرء بحرية عن رأيه وأن يمتلك منبره الخاص وأن يتبادل الآراء بشكل من أصدقائه جماعة ضغط إلكتروني تؤثر على القرارات السياسية للحكومات توجهها، كما أن بقدرة مستخدم الإنترنت أن يشارك في صناعة القرار وأن يلتقي بالزعماء والرؤساء وأن يلقي بآرائه على مسامعهم[2]،

هكذا يرى مروجي خرافة العصى السحرية الإنترنت، الأداة الفاعلة التي سيتم بمقتضاها دمقرطة العالم، وهنا يطرح سؤالاً لا يختلف كثيرًا عما سبق،وهو ما مدى مصداقية هذا الكلام بالنسبة لحالة البلدان النامية والفقيرة عمومًا، هل تتاح الحرية بالفعل لممارسة كل ما سبق وأشار إليه الباحث الإنجليزي، والذي تصور الإنترنت وكأنه الأداة التي من خلالها سيتمكن الإنسان من المشاركة بحرية تامة في

---

(1) هادي السياف، الإنترنت: بوابة العالم الجديدة، قضايا المعلوماتية في عصر العولمة، دار حلب للطباعة والنشر، سوريا، 2000، ص (أ).

(2) John Whaily, The Demacracy in the information Age, Sage of publishing, London, 1999, p. 191.

صناعة حياة مستقبل مجتمعة؟ هل سيتمكن الإنسان في أي دولة من دول العالم الثالث أن يتفاعل مع الإنترنت فتحقق ديموقراطية المعلومات، وهل يمكنه بالفعل أن يتلقي بمسئولي بلده عبر تقنيات الشبكة لكي يتشاور معهم في اتخاذ القرارات التي تهمه باعتباره عضو في المجتمع الذي يديرون شئونه؟ إن تحقق هذا الأمر حقيقة يعد ضربًا من الخيال أو الأماني غير القابلة للتحقق.

وهذه الملاحظة الهامة أكدتها الكثير من الدراسات، فها هو واحد من الباحثين المهتمين بدراسة المعلوماتية يقرر «أن هذا الحل ينشر العدالة والمشاركة في امتلاك المعلوماتية عبر تلك الأدوات، لا يعني مطلقًا إمكانية تحقيقه في الواقع، لأن هناك فارق كبير بين الذين ينتجون المعلومات ويتحكمون في مساراتها وبين مستهلكيها، ولا يعني مطلقًا إمكانية الدخول على الشبكة للحصول على بعض المعلومات، إن ثمة ديموقراطية وعدالة قد تحققت في امتلاك المعلومة أو الاستفادة منها، فتلك العدالة من المستحيل تحقيقها طالما الإنترنت شبكة خاضعة لسيطرة أباطرة المعلومات الذين يمتلكون كل أسرارها وقوتها... ويصف الباحث المعلومات التي يحصل عليها مستعملي الشبكة بالقشور، فأباطرة المعلوماتية يرمون بالقشور للمستهلكين لأحل الترويج التجاري»[1].

وهنا نجد أنفسنا مضطرين لطرح تساؤلاً آخر حول حقيقة الإنترنت، وما تمثله في الواقع إن لم تكن الأداة التي تتيح للجميع التفاعل المتساوي مع مجتمع المعلومات؟

ولعل واحد من أهم التوصيات التي قيلت ويمكن أن يكون إجابة دقيقة على التساؤل السابق، هو ما أشار إليه أحد الباحثين حين قال: «إن مجتمع الإنترنت إنما يمثل ثقافة الرأسمالية ومنتدى أصحاب البشرة البيضاء والذين يتكلمون بالإنجليزية ومعظمهم من الأمريكان، وإن فكرة الديموقراطية الإلكترونية تعبر

(1) Ibid; p. 203

عن مفهوم الهيمنة الغربية الذي يرى نفسه فوق الجميع فالإنترنت هي الأداة الأساسية لأباطرة النظام الرأسمالي في الوقت الراهن للترويج لثقافة المنافسة الحرة والمشروعات الفردية، وكافة مقولات النظام الرأسمالي في مرحلته المعولمة، ومن هنا فهي لا تخرج عن كونها أداة جديدة للنظام الرأسمالي في مرحلة الجديدة، وهي مرحلة تتخذ طابعًا مخالف لكافة المظاهر التي تبدي عليها هذا النظام طوال تاريخه السابق، مرحلة يتم الاعتماد فيها على صناعة المعلومات بشكل كبير من أجل إحكام السيطرة على العالم بكافة مقدراته دون عناء»[1].

إذن الإنترنت (الأداة الأساسية في تقنية المعلومات) لا تعدو أن تكون إحدى أدوات النظام الرأسمالي، التي طورها لتحقيق أهداف هذا النظام في تلك المرحلة من تاريخ تطوره، وبالفعل كان للنظام الرأسمالي منذ بداية نشأته الكثير من الآيات والأدوات التي من خلالها كان يحكم سيطرته على العالم أجمع. ومن يتابع تاريخ نشأة وتطور ما يعرف بالشركات المتعددة الجنسيات، يدرك إلى أي مدى ينجح هذا النظام في تطوير آليات تمكنه من تحقيق أهدافه.

ويتوسع دانيل ب. ماكس في توضيح خرافة عدالة المعلوماتية عبر الإنترنت، حيث يوضح أن القول بفسحة المعلوماتية في ظل قوة النظام الرأسمالي، حديث لا تدعمه أي من الشواهد الواقعية، فتلك الفسحة تضيق في وجه الأكثرية وتحجب عنها شمس الحرية التي تحلم بها، لأن دخول الشركات الكبرى إلى عالم الانترنت يمنع ويحد من دور الأفراد والجماعات الصغيرة في المنافسة مع ارتفاع التكاليف وقلة زوار المواقع الفردية التي لا تتمتع بمواقع مغرية مثل مواقع الشركات الكبيرة، فالإنترنت قاصرة إذن على نخبة مميزة وعلى شركات أعمال ضخمة تستغل

(1) Max P. Danil, the information war international clash in global age, Sage, London, 2002, p. 36.

المشتركين تمثل ذلك المجتمع المعلوماتي، الرأسمالي الجديد ولكنه مجتمع منغلق على نفسه لا يبالي إلا رغبات ومصالح النخبة التي تديره وتستخدمه، وهو بالتالي لا ينشر إلا الثقافة والمعلومة التي تسير في إطار الثقافة المسيطرة وهي بالأساس وبعبارة أخرى فإن مجتمع الإنترنت يسير في طريق التعليب الإعلامي (القولبة الإعلامية) المسير في أغلبه إلا في بعض المواد القليلة التي ينفرد فيها أفراد أو جماعات للتعبير عن آرائهم ولكنها تبقى مجرد ومضة باهتة في وسط ظلا دامس[1].

رابعا: الجوانب الاجتماعية لتقنيات مجتمع المعلومات (الإنترنت نموذجًا)

تعرضنا في الأجزاء السابقة لأهم القضايا التي تطرحا إشكالية تقنيات المعلومات واستخدامها، ومن خلال هذا العرض نستطيع أن نستلهم بعض الإجابات على التساؤلات التي طرحت في عرضها لمشكلة الدراسة، وسوف نؤجل مناقشة هذه الإجابات لنهاية الدراسة، ونعرض في هذا الجزء من البحث لأهم الجوانب الاجتماعية التي تثيرها عملية استخدام تقنيات المعلومات، خاصة تلك التي ترتبط بالانترنت بوصفه الأداة الأساسية في عالم تقنيات المعلومات الحديثة.

(أ) الخدمات التي تقدمها تقنيات المعلومات

1- خدمة البريد الإلكتروني (Email) Electronic Mai

تعد خدمة البريد الإلكتروني ثورة حقيقية في مجال الاتصالات، الذي وفرته شبكة الإنترنت، وهي الخدمة التي غيرت من مفهوم الاتصال البريدي التقليدي الذي عرفه الإنسان منذ وقت طويل من تاريخ[2].

---

(1) Obid, pp, 145,146

(2) إسلام عبدالهادي، الدليل إلى عالم الإنترنت، الدور الدولية للنشر والتوزيع ، بيروت، 1999، ص 12.

وخدمة البريد الإلكتروني، هي إحدى الخدمات الكثيرة التي تقدمها الشبكة الدولية للمعلومات، والتي من خلالها يتمكن مستخدمي الشبكة من عمل صناديق خاصة بهم يستطيعون من خلالها تلقي وإرسال البريد الخاص بهم، وهي خدمة تقدم في الغالب بالمجان لزوار المواقع الإلكترونية المختلفة. كما تقدم في بعض الأحيان بمقابل، خاصة في خالة البريد ذات المواصفات الخاصة.

2- خدمة البحث في قواعد البيانات العالمية Information Search

من الخدمات الهامة التي تقدمها شبكة المعلومات الدولية، خدمة البحث في قواعد البيانات العالمية، وهي خدمة يتمكن مستخدمي الشبكة من خلالها، من الحصول على المعلومات والبيانات الخاصة بأي موضوع قيد اهتمامهم، بغض النظر عن نوعية هذا الموضوع، سواء أكان اقتصادي أو سياسي أو ترفيهي أو غيره من الموضوعات التي يمكن أن تشغل اهتمام مستخدمي الشبكة.

ويوجد عدد كبير من البرامج التي تقوم بالبحث عن المعلومات في قواعد البيانات المختلفة، منها برنامج GOPher المتميز بالقوائم الممتدة والفرعية، حيث يتم الإشارة إلى القائمة الأم ROOT الخاصة بقاعدة البيانات Database أو المادة المراد بدء البحث منها، والتفرع إلى قوائم أخرى تتفرع بدورها إلى قوائم أخرى حتى يتم الوصول إلى المعلومة المطلوبة.

وهناك أيضًا النظام (أركي) Archic في البحث، وهو قاعدة بيانات تشتمل على أسماء جميع الملفات الموجودة على أجهزة الكمبيوتر في شبكة الإنترنت ويتم تجديدها مرة كل شهر، فمثلاً إذا كنت تبحث عن ملف محدد أو برنامجًا سمعت عنه فإنك تستطيع استخدام نظام أركي في تحديد أسماء وعناوين أجهزة الكمبيوتر في شبكة الإنترنت التي تحتوي على هذا الملف.

3- خدمة تبادل الأخبار والمناقشة News Groups

ومن خلال هذه الخدمة يستطيع أن يقوم أي عدد من المستعملين معًا، بالاشتراك في مجموعة حوار أو المناقشة حول موضوع معين مثل السياسة والرياضة والجغرافيا والفضاء والمناخ ... الخ، ويتم الإعلام عن هذه المجموعات تحت اسم المجموعات الإخبارية، Newsgryups، بحيث يقوم أي مستعمل آخر بانضمام لها وتتبع الرسائل المتبادلة بين أفراد هذه المجموعة.

4- خدمة الترفية Entertainment والحديث (الدردشة) Chatting

وهذه من الخدمات التي تجذب جمهور كبير من مستخدمي الشبكة، وخاصة الشباب والأطفال، وتقدم الشبكة مجموعة هائلة يصعب حصرها من الخدمات الترفيهية، على اختلاف أنواعها، بدءً من برامج الألعاب العادية، حتى البرامج الأكثر تطورًا وتعقيدًا، ومن خلال الشبكة يمكن للمستخدمين الحصول على أحدث الأفلام السينمائية وأفلام الكرتون والأغاني والموسيقى، فضلاً عن طوفان من الصور، في مختلف موضوعات الحياة، بدءً من الطبيعة وانتهاءً بالصور الجنسية.

(ب) الإشكالات والمعضلات المرتبطة باستخدام تقنيات المعلومات

تثير تكنولوجيا الاتصالات الحديثة أمامنا الكثير من الإشكالات والمعضلات، فهي إلى جانب أنها تمنحنا المعارف والمعلومات والأساليب المختلفة للعمل والعلم والتفكير والترفيه، فإنها تثير أيضًا العديد من المعضلات التي تطرحها تكنولوجي الاتصالات الحديثة، خاصة تلك التي ترتبط بالمعايير وتوجيه السلوك والتصرفات، وما يرتبط بذلك من جوانب ثقافية معرفية وخلقية، فهذه التكنولوجيا المتقدمة، يمكن النظر إليها بوصفها سلاح ذو حدين، إذا ما أحسن استخدامه، كانت النتائج المترتبة عليه غاية في التعقيد.

وسوف يعرض الباحث هنا لبعض المشكلات المرتبطة باستخدام تقنيات المعلومات وهي على النحو التالي:

1- سرقة المعلومات

تعد سرقة المعلومات من خلال شبكة الإنترنت، وحداة من أخطر وأهم المشكلات التي يعاني منها مستخدمي الشبكة، يشمل ذلك الأفراد والشركات، بل والحكومات أيضًا. ففي عام 1992 تم ضبط لصوص المعلومات وهم يخترقون ملفات إدارة الأمن الاجتماعي الأمريكي، ويسرقون سجلات شخصية مهمة للغاية، ثم يقومون ببيع المعلومات التي يحصلون عليها، كما قام اللصوص أيضًا بالتسلل إلى أجهزة الكمبيوتر لمكاتب الائتمان الرئيسية، وقاموا بسرقة معلومات ائتمانية، ثم استخدموا المعلومات ليدفعوا مقابل بعض المشروعات أو حتى يقوموا بإعادة بيعها إلى أشخاص آخرين، بل وصل الأمر إلى تمكن لصوص المعلومات من اختراق أجهزة بعض الجامعات والحصول على نتائج وبيعها لهم.

2- جرائم تعتمد على الأذى والتدمير

في بعض الأحيان يكون المجرمون أكثر اهتمامًا بإساءة استخدام أجهزة الكمبيوتر ونظم الاتصالات، من مجرد تحقيق أرباح من روائعها، وعلى المثال قام طالب من جامعة ويسكولسن الأمريكية بتعطيل نظام كمبيوتر الجامعة، متعمدًا أكثر من مرة تدمير المشروعات النهائية لعشرات من الطلاب بالجامعة، وقد حكم عليه القاضي بعقوبة سنة مع إيقاف التنفيذ، ومغادرة الجامعة، وفي عام 1988 قام طالب في جامعة نيويورك ببث برنامج أحدث اضطرابًا في عمل آلاف الأجهزة عبر كافة الولايات المتحدة.

3- الرسائل غير المرغوبة في البريد الإلكتروني

لاشك إن البريد الإلكتروني mail يتمتع بعديد من المزايا، وليس أدل على ذلك من قيام جامعة أوكسفورد البريطانية العريقة بفتح أبوابها لمنح درجات علمية عبر شبكة الإنترنت، وذكرت الجامعة العريقة بفتح أبوابها لمنح درجات علمية عبر شبكة الإنترنت، وذكرت الجامعة أنه ابتداءً من يناير 1999، يستطيع طلاب الدراسات

العليا تلقي مقررات الطب وبرامج هندسة الكمبيوتر عبر البريد الإلكتروني، وقال انطوي ساند رسون مدير التسويق بالجامعة إن الطلاب في الدول الأجنبية سيتم استعدادهم لأداء الامتحانات بالجامعة.

ولكن البريد الإلكتروني لا يخلو من إزعاج، فمثلما يمكن أن تزعجنا شركة أو مندوب ما في عرض الطريق، لإقناعنا بشراء ما لا نحتاج، فإن أمثال هؤلاء يحاولون ممارسة الإلحاح وأحيانًا النصب على العملاء من خلال البريد الإلكتروني، فيرسلون على عناوين المشتركين كماً هائلاً من الرسائل غير المرغوب فيها، وقد أصدرت لجنة التجارية الفيدرالية الأمريكية قائمة، تضم أسوأ أثنى عشر موضوع من هذا النوع تسبب إزعاجًا ومضايقة للمشتركين بسبب الكم الهائل من البريد غير المرغوب فيه والذي يتلقونه بشأن هذه الموضوعات، وأعدت اللجنة الفيدرالية هذه القائمة، بعد فرز أكثر من 250 ألف رسالة، اعتبرها المشتركين في الإنترنت إنها تتميز بالصفاقة والإلحاح والتحدث عن أمور لاتهمهم.

4- تهديد الأمن

لقد أصبحنا نسجل عشرات الجرائم عبر الكمبيوتر وهي تتصل بالحق الخاص والأمن العام، وقد يمكن ردعها من خلال القوانين القائمة في بعض البلاد لمقاومة الغش والاستخدام غير القانوني للكمبيوتر أو من خلال القوانين العامة المتعلقة بالجنايات والمخالفات، وتزداد القناعة يومًا بعد يوم بإمكانية الاستخدام السلبي لشبكات المعلومات من جانب العناصر الهدامة للمجتمع، فقد اكتشفت الجهات الأمنية في المجتمعات المستخدمة لشبكة الإنترنت رسائل مشفرة تتصل بتهريب المخدرات والحث على التخريب والعنف من قبل المتطرفين والمنفذين للحروب الأهلية.

5- المخاطر الاجتماعية للإنترنت

نظرًا للتطور التقني الهائل في أجهزة الكمبيوتر والطابعات الملونة وأجهزة المسح الضوئي، دخل الكمبيوتر - وبتوسع - في مجال التزييف والتزوير، حيث يمكن من

خلاله نقل توقيع شخص ما على شبك أو إيصال أمانة أو عقد أرض أو شقة كما يمكن استخدام كمبيوتر في عملية تزييف العملات الورقية المصرية والأجنبية، والمشكلة أن العملات المزيفة تكاد تتطابق تمامًا مع النقود السليمة، ولا يمكن التعرف عليها إلا من خلال خبرة فنية ومهارية عالية.

(ج) المخاطر الاجتماعية للإنترنت

برغم من أن الأسرة هي المدرسة للطفل وهي العامل الأول في صيانة سلوكه الاجتماعي للطفل وتكون شخصية وتوجيه سلوكه ومن الأسرة يستقى الطفل ما يرى من ثقافة ومن قيم وعادات واتجاهات اجتماعية ومعتقدات دينية وفكرة الصواب والخطاء ويلم بما عليه من واجبات وما له من حقوق، إلا أن هناك بعض العوامل التي قد تؤثر بالسلب على سلوك الأفراد منها على سبيل المثال لا الحصر:

- مظاهر التفكك الاجتماعي على سبيل المثال لا الحصر
- غياب القدوة الاجتماعية.
- هجرة العائل.
- جماعة الرفاق.
- الفراغ الديني والثقافي.
- وسائل الإعلام.
- الثقافة الوافدة.
- التقليـد

الأمر الذي يؤدي إلى التخلي عن القيم الأخلاقية الحميدة والانزلاق في دائرة الانحراف، وتأتي تقنيات المعلومات بما تقدمه من إباحية صريحة تشجع على التعلم والممارسة كما تدلل الشواهد التالية:

1- المخاطر المتعلقة بالعلاقات الإنسانية عبر الإنترنت

ومن المخاطر التي تحوط بشبكة الإنترنت أنه توجد مواقع على هذه الشبكة للحب والزواج والعلاقات غير الشرعية، بمجرد دخول المشترك إلى هذه المواقع، عليه أن يحدد بالضبط شكل العلاقة التي يريدها، هل هي صداقة أم زواج أم علاقة حميمة أم مجرد الحصول على بعض المتعة، قد أنشأت جامعات أوروبية وأمريكية وطوائف دينية أم مجرد الحصول على بعض المتعة، قد أنشأت جامعات أوروبية وأمريكية وطوائف دينية ومذهبية بعض هذه المواقع وأنشأ هواة ومدمنو الكمبيوتر والتجوال عبر الإنترنت بعضه الآخر، وكالعادة استغلت شبكة المافيا العالمية بعض هذه المواقع لتحقيق أرباح من هذه العلاقات المحرمة وتسويق الفتيات والسيدات من روسيا وأوكرانيا ودول شرق أوروبا عبر هذه الشبكة. ومن أشهر هذه المواقع وأكثر انتشار الموقع الأمريكي المعرف باسم (العزاب الأمريكيون) American Single.com والخدمة فيه ليست مقصورة على الأمريكيين، بل كل العالم، على اعتبار أن الولايات المتحدة هي الحاكم الفعلي للنظام العالمي الجديد، ولكي يتم الاستفادة من العروض التي يقدمها هذا الموضوع.. فعلى المرء أن يدون بياناته الشخصية والمواصفات التي يريدها في شريكته (أو شريكها) وذلك من خلال الإجابة على عشرات الأسئلة التي تكشف - رغم بساطتها - عن أدق التفصيلات والسمات الشخصية، وقد دخل الشباب العربي - للأسف - سواء الرجال الذين يبحون عن سيدات أو العكس، إلى هذه المواقع حيث توجد صفحات مخصصة لبعض الدول العربية، التي تتمتع بانتشار جماهيري على شبكة الإنترنت.

2- المخاطر المتعلقة بالإباحية الإلكترونية

بدأ ينتشر ما يسمى (الإباحية الإلكترونية) عبر شبكة الإنترنت، حيث يتم تبادل الصور الفوتوغرافية المخلة بحرية تامة عن طريق الشبكة، وأصبحت هناك نواد للإباحية في الغرب، تباشر أعمالها بالاستعانة بشبكة الويب العالمية، ورغم إن

الغرب كان يتغاضى أحيان عن إباحية الكبار بدعوى الحق في حماية الخصوصية right of privacy فإن ذلك لا ينطبق على الأطفال الصبية الصغار بعدما انتشرت دعارة الأطفال. ففي بريطانيا، اكتشفت الشرطة بمحض الصدفة منزلاً بمدينة سانت لي وناردوز st. Leonquds يدار لأعمال منافية للآداب في أكتوبر من عام 1997، وقد ألقت الشرطة القبض على ستة عش رجلا بتهمة إنتاج وتبادل الصور الإباحية الخاصة بالأطفال وكان جهاز الكمبيوتر يحتوى على آلاف الصور تساعد على دخول الشبكات الخاصة أو السرية، والأدعى من ذلك أن الشرطة البريطانية اكتشفت أن ثمة شبكة دولية تنتشر فروعها في معظم الدول الأوروبية والولايات المتحدة واستراليا تقف وراء هذه الأعمال المنافية للآداب.

3- المخاطر المتعلقة بزعزعة عقيدة المسلمين

في صيف 1998، قامت إحدى المنظمات المشبوهة من خلال شبكة الانترنت بمحاولة لتشويه القرآن الكريم، حيث طالبت هذه المنظمة من زوار موقعها على الإنترنت بتأليف سور القرآن الكريم، في محاولة منها لإقناع جمهور الشبكة العالمية بأن القرآن ليس معجزة إلهية من عند الله، بل هو من صنع البشر .. وبعد كم الاحتياجات الهائلة من قبل المستخدمين للشبكة على استضافة الشبكة لهذه المنظمة مع ما يبثه من أفكار هدامة وتسيء للإعلام، أعلنت شركة (أمريكا أون لاين) America on line التي تديرها الإنترنت رفضها بث أفكار هذه المنظمة ورغم ما تثيره هذه المحاولة للنيل من عقيدة الإسلام من غضبه واستياء في نفوس المسلمين، إلا أنها تمثل إنذارًا مباشرًا ينبهنا إلى أننا لم نعد الداعية الإسلامي المناسب للتعامل مع تقنيات القرآن القادم القادم، والذي يتمتع بفهم جيد للإسلام، ويتحدث لغة أجنبية بطلاقة، ويستطيع استخدام تكنولوجيا الحاسبات الرقمية، ويمكن له أن ينفذ إلى مثل هذه المواقع على الشبكة العالمية، ويعد الرد المناسب على ما بثته من أكاذيب ودعاوى مضلله.

قام الدكتور سيد طنطاوي شيخ الأزهر بتشكيل لجنة برئاسته، وتضم جميع التخصصات الدينية بهيئاتها من الأزهر والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ومجمع البحث الإسلامية، ودار الإفتاء، وجامع الأزهر وحدد لها مهاما ثابتة وهي متابعة ما ينشر على شبكة الإنترنت من معلومات تسيء للإسلام، وشرح تعاليمه، وتقديم تفاسير للقرآن الكريم والأحاديث النبوية، مع تزويد الموقع بعنوان للبريد الإلكتروني للرد على الفتاوى من مختلف المسلمين في بلدان العالم، وللجنة الحق في أن تستعين بمن تراه لتحقيق مهامها، ولها أن تؤلف لجانًا فرعية متخصصة في العلوم الدينية. وبالإضافة إلى المجهودات التي يقوم بها الأزهر، فإنه توجد العشرات من المواقع الإسلامية على شبكة الإنترنت، لعل أبرزها أثنا عشر موقعًا لبعض المراكز الإسلامية في الولايات المتحدة وبريطانيا، يتم من خلالها عرض القرآن الكريم مرتلاً ومفسرًا، وتقديم الخطب الصوتية باللغتين العربية والإنجليزية، كما يتم تقديم مواقيت الصلاة وأحكام الشرع والسنة والفتاوى المجانية، هذا بالإضافة إلى الدعوة للدعم المادي للمسلمين لبناء المدارس والمساجد ونشر الأنشطة الإسلامية. وفي أواخر عام 1998 ..عادت مرة أخرى محاولات تحريف القرآن الكريم من حيث شكل المحاكاة اللغوية من خلال أربع سور مزعومة أطلقت عليها أسماء المسلمين والإيمان والوصايا والتجسيد وتتهم هذه النصوص المسلمين بأنهم في ظلال مبين، ونطلق على لسان الرسول ﷺ أقولاً مكذوبة.

مناقشة ختامية

تناولت هذه الورقة البحثية أهم الجوانب التي تثار حول استخدام تقنيات المعلومات، والتي يأتي في مقدمتها الإنترنت بدون منازع، فهو الآن وكما تؤكد الكثير من الدراسات «وسيلة إعلام المستقبل نظرًا لتميزه بالعديد من المميزات يأتي في مقدمتها: اللامكان، فهو يتخطى كل الحواجز المكانية التي حالت منذ فجر التاريخ دون انتشار الأفكار وامتزاج الناس وتبادل المعارف، كما أنه يتميز بالأزمان

أيضًا، فالسرعة الكبيرة التي يتم نقل المعلومات عبر الشرطة تسقط عامل الزمن، فضلاً عن التفاعلية والمجانية والربط الدائم، وغيرها من السمات»[1].

إلا أنه على الطرف الآخر هناك أيضًا آثار وتأثيرات سلبية تنتج عن استخدام الإنترنت، كتقنية حديثة، منها: انتشار المواد الإباحية، العزلة، الجريمة، الغزو الثقافي، و غيرها من المشكلات المختلفة، التي أكد عليها الباحثون المهتمين بدراسة تأثيرات تكنولوجيا الاتصال الحديثة والمعلوماتية على بناء القيمي لأفراد المجتمع[2].

معنى ذلك أن قضية التأثيرات الناجمة عن استخدام الإنترنت كتقنية حديثة لمعلوماتية، أمر تتجاذبه وجهتان أساسيتان، الأولى: تؤكد على المخاطر السلبية للإنترنت وتتعدد هذه المخاطر، ما بين جوانب ثقافية وأخرى أخلاقية وقيمة. الثانية: تؤكد على الجوانب الإيجابية للإنترنت، بما توفره من معلومات وبما يتيحه لمستخدميه وما يوفره من وقت وجهد، وما إلى ذلك من جوانب إيجابية.

والحقيقة أن هذا الموقف المتناقض أو تلك المعادلة ثنائية الطرف، هو أمر درجت عليه العقلية الثقافية العربية، والقول بطريقة أخرى، إن تلك العقلية الانشطارية،

---

(1) محمد سعيد عبدالمجيد ووجدي شفيق، الآثار الاجتماعية للانترنت على الشباب، دراسة ميدانية على عينة من مقاهي الانترنت، دار المصطفى للطباعة والتوزيع، طنطا، 2002، ص 26.

(2) مزيد من التفاصيل حول التأثيرات السلبية للإنترنت يمكن الرجوع إلى:

- فتحي أبو العينين، الثقافة العربية في العصر الكوني، في ندوة «نحو إطار حضاري للمجتمع العربي في القرن الحادي والعشرين»، رواق عواشة بنت حامد الثقفي، دبي، 1997.
- هربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول، مرجع سابق.
- محمد صديق عفيفي، وسائل الاتصال الحديثة ودورها في تشكيل الهوية، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، 2001.

هي أحد السمات الأساسية لطريقة التفكير العربية في تناولها وبحثها، للمستجدات من القضايا التي تطرح على الساحة العربية. فمراجعة كافة القضايا التي طرحت على الساحة الثقافية العربية منذ مطلع القرن العشرين، بل ومنذ منتصف القرن التاسع عشر، هذه المراجعة، تقضي بنا إلى حقيقة هامة جدًا، وهي، أن كافة ما عرض على الساحة، وكافة ما أثير على الساحة الثقافية العربية، تشكل بصدده فريقين أساسيين، الأول: فريق يعارض بشدة ويهاجم ما يطرح من قضايا، والفريق الآخر، مساند ومعاضد لتلك القضايا. فبداية من قضايا تحرير المرأة وتعليمها، وغيرها من القضايا التي طرحها فكر الحداثة الغربي، أو فكر الحداثة الذي وفد مع الغربيين أو الذين تلقوا تعليمهم في بلاد الغرب، ومروا بإشكاليات الديموقراطية وحقوق الإنسان، وغيرها من القضايا، والمثقف العربي، بل المواطن العربي المادي، يتخذ من هذه القضايا، موقف ثنائي، إما مع، أو ضد ما يطرح.

وقد امتدت هذه العقلية الانشطارية لتشمل الموقف من قضايا ثورة الاتصالات الحديثة وما تمخض عنها من نتائج. هكذا، وجدنا الموقف من العولمة وغيرها من القضايا التي طرحت نفسها بقوة خلال السنوات الأخيرة، فهناك المئات، بل الآلاف من الدراسات والبحوث والمقالات والندوات التي عقدت حول العولمة، وكل ذلك يمكن ببساطة أن نصنفه إلى فريقين: فريق مع العولمة، منتصرًا لها، مدافع عنها، مؤكد على إيجابيتها وحسناتها، وفريق ضد العولمة، مؤكد على خطورتها وسلبيتها والكوارث المنتظرة التحقق من جراء الانقياد لها والخضوع لسيطرتها. من هنا من الطبيعي أن نجد تناقضًا في الموقف من الانترنت بصوفه أداة أو آلية أساسية من آليات الاتصال الحدية، المرتبطة بالمعلوماتية، فالانترنت هو بحث البوابة الرئيسة لتكنولوجيا المعلومات في العصر الحديث والمستقبل أيضًا. وبما أن الإنترنت صناعة غربية، فمن الطبيعي أن تتناقض وجهات النظر والمواقف تجاهه، كما في العادة في الموقف العربي من أي شيء يطرح من قبل الغرب الحداثي.

والأمر الذي نود أن نؤكد عليه هنا، في ختام هذه الدراسة، أن التأكيد على الجوانب السلبية والآثار الخطيرة التي يتهدد منها البعض من الإنترنت، عملية يمكن أن توظف الاستخدامات الجديدة والفعّالة التي يمكن أن نحققها من هذه الأداة الاتصالاتية الحديثة، كما أنه في نفس الوقت لا يمكن أن نقلل من الجوانب والمشكلات التي يمكن أن يخلقها الانترنت، بوصفه أداة يمكن من خلالها اختراق العقلية العربية بحق، وخاصة العقلية الشابة غير المسلحة وغير المؤهلة للتعامل مع مثل تلك الآليات الحديثة، وفهم حقيقة محتواها.

وهنا نؤكد على أنه على الرغم من المخاطر المحتملة للإنترنت وتأثيرها السلبية على العقلية العربية، سواء على الشباب أو غيرهم، إلا أن تلك المخاطر تتضاءل بل يمكن أن تنعدم، في حالة ما تم تأهيل الشباب لكيفية استخدام الإنترنت والاستفادة منها، فالانترنت ما هو إلا أداة يمكن للشباب من خلاله أن يحصل على معلومات وبيانات مفيدة، يستخدمها في البحث العلمي وغيره من مجالات الاهتمام، وهو في نفس الوقت يمكن أن يحصل من خلال صورة إباحية وموضوعات جنسية وغيرها من المواد الضارة أو على الأقل غير المتفقة مع قيمتها وعادتنا وتقاليدنا.

فالعبرة هنا ليست في الإنترنت كأداة أو وسيلة أو تقنية حديثة للحصول على المعلومات، ولكن العبرة هنا بمستخدمي الإنترنت من الشباب، فعلينا بداية أن طرح على أنفسها الكثير من التساؤلات قبل الحكم النهائي بفساد الإنترنت وخطورة تأثيره على الشباب، من هذه الأسئلة: مدى اهتمامنا بتكوين وترسيخ القيم الأصيلة الدينية والأخلاقية في نفوس شبابنا عبر آليات ووسائل الإعلام والتعليم المختلفة، ومدى اهتمامنا ببناء وغرس قيم النجاح والعمل والجدية في التعامل، في نفوس هؤلاء الشباب، القضية هنا ليست الإنترنت، بل القضية هي كيفية بناء عقلية الشباب، وتأهيلهم وتسليحهم بالقيم والفضائي، التي تحول دون انقيادهم السهل، لأي مادة يعرضها الإنترنت، وتتعارض مع قيمنها وأخلاقنا.

إن الاهتمام بداية بصناعة، وأقول صناعة الشباب، لأن تلك مهمة، يجب أن تناط بها مختلف مؤسسات الدولة، الحكومية منها والأهلية، إن الاهتمام بهذه الصناعة، هو البداية الحقيقية لدخول قرن المعلوماتية، دون هاجس تدمير الأخلاق والدين والهوية الثقافية، وهو يحقق الاستفادة القصوى مما توفره الاتصالات الحديثة من منجزات، تعود بالنفع والخير على مستخدميها، لا يمكن بأي حال من الأحوال الوقوف في واجهة التطورات الهائلة التي تفرضها الثورة الاتصالاتية، ولكن يمكن تعظيم الاستفادة الحقيقية منها، من خلال تأهيل الشباب للتعامل الفعّال معها، غير المشوب بالخوف والحذر والحيطة وهواجس الخوف والتدمير للذاتية، وكل ذلك يتحقق من خلال الاهتمام والتركيز على بناء عقلية هؤلاء الشباب والحرص على غرس قيم وفضائل مجتمعنا في نفوسهم قبل كل شيء.

obeikandl.com